أَلَمْ تَرَ للنّعْمَان

يذكر النعمان بن المنذر حين طلبه كسرى ليقتله، فأتى بني طيء وكانت ابنتهم عنده، فسألهم أن يدخلوه جبلهم ليحتمي بينهم فأبوا عليه. ثم لقي بني رواحة من عبس حيث كان له عليهم يد حين شفع لمروان بن زنباع لدى عمه عمرو بن هند فشفعه، ثم أكرمه النعمان وحمله معه وكساه. وقد بقي هذا الجميل في رقبتهم فطلبوا من النعمان أن يقيم بينهم ليمنعوه من كسرى، فقال لهم: لا طاقة لكم بجنوده. فقال زهير في ذلك هذه القصيدة. وقال الأصمعي: إنها لصرمة الأنصاري وليست لزهير ولا تشبه شعره.

[من الطويل]

ألا ليتَ شعري: هل يرَى النّاسُ ما أرَى
من الأمْرِ أوْ يَبدو لهمْ ما بَدا لِيَا؟
بَدا ليَ أنّ اللَّهَ حَقٌّ فَزادَني
إلى الحَقّ تَقوَى اللَّهِ ما كانَ بادِيَا
بَدا ليَ أنّ النّاسَ تَفنى نُفُوسُهُمْ
وَأمْوَالُهُمْ ولا أرَى الدّهرَ فانِيَا
وَإنّي متى أهْبِطْ من الأرْضِ تَلْعَةً
أجِدْ أثَراً قَبلي جَديداً وعافِيَا[1]

(١) التّلعة: ما ارتفع من الأرض أو مسيل الماء من أعلى إلى أسفل. العافي: الدارس، من عفا أي درس وامّحى.

أرانـي إذا مـا بِـتُّ، بِـتُّ عـلـى هَـوًى
وأنّـي إذا أصـبَـحـتُ، أصـبَـحـتُ غـادِيَـا[١]

إلـى حُـفْـرَةٍ أُهْـدَى إلـيْـهـا مُـقِـيـمَـةٍ
يَـحُـثّ إلـيـهـا سـائِـقٌ مِـنْ وَرَائِـيَـا[٢]

كـأنّـي وقـدْ خَـلّـفْـتُ تـسـعـيـنَ حِـجّـةً
خَـلَـعْـتُ بـهـا عَـنْ مَـنـكِـبَـيّ رِدائِـيـا[٣]

بـدا لـيَ أنّـي لَـسـتُ مُـدْرِكَ مـا مَـضَـى
ولا سـابِـقـاً شَـيْـئـاً إذا كـان جـائِـيَـا

أرانـي إذا مـا شِـئْـتُ لاقَـيْـتُ آيَـةً
تُـذكّـرُنـي بـعْـضَ الـذي كـنْـتُ نـاسِـيَـا[٤]

ومـا إنْ أرَى نَـفْـسـي تَـقِـيـهَـا كَـريـهَـتـي
ومـا إنْ تَـقـي نَـفْـسـي كَـرائِـم مـالِـيَـا[٥]

ألا لا أرى عـلـى الـحَـوَادِثِ بـاقِـيـاً
ولا خـالِـداً إلّا الـجِـبـالَ الـرّواسِـيَـا

---

(١) بتُّ على هوى: أي بتُّ على طلب حاجة أو أمر أريده.

(٢) السائق: تعني هنا الأجل المحتوم.

(٣) خلَّفت: تركت ورائي. حجّة: سنة. والمعنى العام للبيت، أنه لم يجد أثر شيء مضى في هذه السنوات الطويلة، وكأنما خلع بها رداءه عن منكبيه، وفي ذلك يؤكد أن كلّ شيء إلى زوال، متابعاً حديثه في البيت التالي وموضحاً: «بدا لي أني لست مدرك ما مضى».

(٤) المعنى، أنه إذا غفل عن حادثات الزمان من موت وغيره ونسي ذلك، جاءت آية مما يصيب غيره فذكّرته. الآية: العلامة.

(٥) كريهتي: شدّتي. والمعنى، أنه لا تقي نفسي من الموت شِدَّتي، كما لا تقيها كرائم أموالي.

وإلّا الـــسّـــمـــاءَ والـــبِـــلادَ وَرَبَّـــنَـــا
وأيّـــامَـــنَـــا مَـــعْـــدُودَةً والـــلّـــيـــالِـــيَـــا
ألـــمْ تَـــرَ أنّ الـــلَّـــهَ أهْـــلَـــكَ تُـــبَّـــعـــاً
وأهْـــلَـــكَ لُـــقـــمـــانَ بـــن عـــادٍ وعَـــادِيَـــا[١]
وأهـــلَـــك ذا الـــقَـــرْنَـــيـــنِ مـــن قـــبْـــلِ مـــا تَـــرَى
وفـــرْعـــوْنَ، جـــبّـــاراً طَـــغـــى، والـــنّـــجـــاشِـــيَـــا[٢]
ألا لا أرَى ذا إمّـــــةٍ أصْـــــبَـــــحَـــــتْ بِـــــهِ
فـــتَـــتـــرُكُـــهُ الأيّـــامُ، وهْـــيَ كـــمـــا هِـــيَـــا[٣]
ألـــمْ تَـــرَ لـــلـــنّـــعـــمـــانِ، كـــان بِـــنَـــجْـــوَةٍ
مِـــنَ الـــشّـــرّ، لـــو أنّ امـــرأً كـــان نـــاجِـــيَـــا[٤]
فَـــغَـــيّـــرَ مـــنْـــهُ مُـــلْـــكَ عِـــشـــرِيـــنَ حِـــجّـــةً
مِـــنَ الـــدّهـــرِ، يـــوْمٌ واحـــدٌ كـــانَ غـــاوِيَـــا[٥]

---

(١) تُبَّع: ملك من ملوك حِمْيَر. لقمان بن عاد: من الحكماء الذين يُتمَثّل بهم ولُقب بالمعمّر لطول عمره. عاديا: أي عادياء وهي مخففة لضرورة الشعر، وهو أبو السموأل صاحب الحصن الذي يقال له الأبلق، وقصته مع الشاعر امرئ القيس معروفة حين استودعه أدراعه.

(٢) ذو القرنين: لقب الإسكندر، الإمبراطور الروماني الشهير. فرعون: لقب أُطلق على ملوك مصر قديماً. النجاشي: لقب ملك الحبشة.

(٣) الإمّة: النعمة وحسن الحال. والمعنى، أنه من أصبحت به نعمة فسوف تغيّره الأيام.

(٤) النعمان: هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة. النَّجْدة: المقصود هنا الخَلاص والمَنَعَة.

(٥) المعنى، أنه كان طيلة عشرين سنة ملكاً رشيد أمره، إلى أن جاء يوم غيّر=

فـلَـمْ أرَ مَـسـلـوبـاً، لـهُ مـثـلُ مُـلـكِـه
أقَـلَّ صَـديـقـاً بـاذِلاً، أوْ مُـؤاسِـيَـا[١]
فـأيـنَ الـذيـنَ كـانَ يُـعـطـي جِـيـادَهُ
بـأرْسـانِـهِـنّ، والـجِـسـانَ الـغـوَالِـيَـا
وأيـنَ الـذيـنَ كـانَ يُـعـطـيـهِـمُ الـقُـرَى
بـغَـلّاتِـهِـنّ، والـمِـئـيـنَ الـغَـوادِيَـا[٢]
وأيـنَ الـذيـنَ يَـحـضُـرُونَ جِـفـانَـهُ
إذا قُـدّمَـتْ أَلْـقَـوْا عَـلَـيـهـا الـمَـراسِـيَـا[٣]
رَأيْـتُـهُـمُ لـم يُـشْـرِكُـوا، بـنُـفـوسِـهِـمْ
مَـنِـيّـتَـهُ، لـمّـا رَأوْا أنّـهـا هِـيَـا[٤]

= منه ملكه وسلب حياته وذلك في قصته المعروفة مع كسرى والتي أدَّت إلى قتله. الغاوي: الضّال أو المخطئ.

(١) المعنى، أن هذا الملك الذي كان له النعيم والمُلْك، وله عند الناس الأيادي البيض، لم يستطع أحد فيهم أن يفي له نِعَمه الكثيرة أو يواسيه أو يجيره أيام محنته.

(٢) يريد بالمئين: أي المئين من الإبل. الغوادي: أي التي تغدو على مَنْ تفضّل بها عليهم.

(٣) الجِفَان: مفردها جفنة، وهي القصعة الكبيرة. إذا قُدّمت ألقوا عليها المراسي: أي ثبتوا عليها وأقاموا فأكلوا. والمراسي: مفردها مرسى، من رسا، أي أقام واستقرّ ومنها مرسى السفينة أي محل وقوف السفن.

(٤) المعنى، أنهم لم يساووه بأنفسهم ويخلطوه بينهم حين استجار بهم، وذلك عندما علموا أن منيّته قَرُبت وأن مآله لا محال إلى الموت.

خَــلا أنّ حَــيّــاً مِــنْ رَوَاحَــةَ حــافَــظُــوا
وكــانُــوا أُنَــاســاً يَــتّــقُــونَ الــمَــخــازِيَــا[١]
فَــســاروا لــهُ، حــتــى أنــاخُــوا، بِــبــابِــهِ
كِــرامَ الــمَــطــايــا والــهِــجــانَ الــمَــتــالِــيَــا[٢]
فــقــالَ لــهــمْ خَــيــراً، وَأثْــنــى عَــلَــيــهِــمُ
وَوَدّعَــــهُــــمْ وَداعَ أنْ لا تَــــلاقِــــيَــــا
وأجْــمَــعَ أمْــراً كــانَ مــا بَــعــدَهُ لَــهُ
وكــانَ إذا مــا ٱخــلَــوْلــجَ الأمــرُ، مــاضِــيَــا[٣]

(١) خَلَا: أداة استثناء بمعنى إلَّا. رواحة: حي من بني عبس. المخازي: المعايب.
(٢) أناخوا ببابه كرام المطايا: أي أنزلوا عنده خير ما لديهم من الإبل. والمطايا: مفردها مطيّة وهي الدّابة التي تُركب ويستوي فيها المذكّر والمؤنّث، فالبعير مطيّة والناقة مطيّة. الهجان: البيض الكرام من الإبل. المَتَالِي: أي التي تتلوها صغارها.
(٣) أجمع أمراً: عزم على أمر. كان ما بعده له: أي كل شيء يجيء بعده فهو تابع له. اخلولج: اختلف ولم يستقم. كان ماضياً: أي أن النعمان كان نافذاً في الأمر عازماً عليه.